

رضوان زيادة

السلام الداني: المفاوضات السورية - الإسرائيلية

(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥). ٨٦٠ ص.

الياس سمعو

أستاذ العلاقات الدولية في جامعتي حلب والقلمون، سابقاً.

مسؤولية إضاعة «فرصة السلام». ومع أن الكاتب يقرّ بأن الكتاب يشكل الرواية السورية، ولكنه يستعرض الروايات الإسرائيلية والأمريكية إلى جانب السورية، وبشكل معتدل، حيث يستعرض أهم ما نشر في إسرائيل والولايات المتحدة وغيرها عن المسار السوري - الإسرائيلي، ويقارن وجهات النظر المتفاوتة.

إن كتاب **السلام الداني** (وأتمنى لو أعاد الكاتب النظر في عنوانه وأسماء «السلام البعيد») هو في الحقيقة موسوعة، حيث يتضمن، في صفحاته التي تتعدّى ثمانمئة صفحة، مئات المصادر العربية والإسرائيلية والغربية، وآلاف الهوامش، من مصادر أولية وثانوية، وعدداً من الوثائق والخرائط.

وينقسم الكتاب إلى خمسة عشر فصلاً، موزعة على ثلاثة أجزاء، **أولها** ما قبل مدريد، و**ثانيها** من مدريد إلى جنيف، و**ثالثها** ما بعد جنيف.

يحتوي كتاب **السلام الداني: المفاوضات السورية - الإسرائيلية** للدكتور رضوان زيادة على كل ما تريد أن تعرفه عن المفاوضات السورية - الإسرائيلية وأكثر. فالموضوع الرئيسي في الكتاب، كما يقول الكاتب، هو السياسة الخارجية السورية تجاه إسرائيل منذ ثلاثينيات القرن الماضي، ولكنه يركّز بشكل رئيسي على مفاوضات السلام الثنائية التي عقدت بين سورية وإسرائيل بعد مؤتمر مدريد للسلام، وحتى الوقت الحالي.

يشكّل الكتاب، كما يقول الكاتب، «الرواية» السورية الأولى عن المفاوضات السورية - الإسرائيلية بعد العديد من الروايات الغربية والإسرائيلية التي قدمت من قبل رابينوفيتش وسافير وكوبان وساغي وروس، وهو ما جعل الرواية السورية مستبعدة تماماً، أو لا تحضر إلا بوصفها الوجه الآخر للرواية الإسرائيلية، ولذلك فهي حملت من قبل الكثير من الباحثين والمسؤولين الإسرائيليين جزافاً

«كلاً من سورية وإسرائيل أتى إلى السلام ليس محبة منهما به، بقدر ما أصبح خياراً حتمياً لا يمكن اختيار غيره، بعدما شعرا بالإنهاك والتعب من كل الخيارات الأخرى...».

القسم الثاني، من مدريد إلى جنيف، يشمل خمسة فصول، وهي الأهم والأطول، وما ركّز عليه الكاتب. يبدأ هذا القسم بالفصل الثامن وعنوانه «الصراع بوجه جديد: مؤتمر مدريد: سورية وإسرائيل على مفترق الطرق». على الرغم من الصعوبات التي واجهها وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر في جولاته العديدة في سعيه إلى عقد مؤتمر مدريد للسلام، فإن النتيجة كانت ناجحة وعقد المؤتمر الذي أصبح، كما يقول الكاتب «نقطة تحول فاصلة في مسار الصراع العربي - الإسرائيلي، إذ أعلن دون بيان رسمي إنهاء الصراع العربي - الإسرائيلي على صيغة الحرب، وبدء هذا الصراع على هيئة المفاوضات». تخلّل المؤتمر لحظات عصيبة، ومواجهات كلامية قاسية، بين رئيس الوزراء الإسرائيلي شامير ووزير الخارجية السوري الشرع، ولكن هذه المواجهات المفروغ منها مرّت بسلام وبدأت عملية السلام.

الفصول الأربعة التالية تبحث عملية السلام السورية - الإسرائيلية بتفصيل دقيق، وكل فصل منها مخصّص لكل من الإدارات الأربع الإسرائيلية المتتالية التي شاركت في عملية السلام، بدءاً بحكومة شامير حيث كانت جولات المفاوضات أقرب إلى جولات مصارعة دبلوماسية، وأقل من دبلوماسية منها إلى مفاوضات صادقة في سبيل السلام. وكما يؤكد الكاتب، فإن

القسم الأول، ما قبل مدريد، يشمل سبعة فصول يتطرق فيها الكاتب إلى الاتصالات السورية - اليهودية قبل عام ١٩٤٨، ثم مفاوضات اتفاقية الهدنة السورية - الإسرائيلية، ثم العلاقات بين البلدين حتى حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧، ثم الصراع السوري - الإسرائيلي على لبنان. وهناك فصل عن الجولان يبحث في أهمية الهضبة، تاريخياً وسياسياً واقتصادياً وأمنياً، وأخيراً التحولات الدولية والإقليمية التي أدت في النهاية إلى مؤتمر مدريد، وأهمها بالنسبة إلى حافظ الأسد كانت التحولات الطارئة في الاتحاد السوفياتي، وإقليمياً ورطة صدام حسين في اجتياح الكويت التي كانت مخرجاً للرئيس الأسد، كما يقول الكاتب «إذ قبل ٢ آب/أغسطس كان الأسد يعيش شبه عزلة عربية ودولية، ولكنه بعد ذلك سيصبح مركز التحولات الإقليمية المقبل، وستعود الدبلوماسية الأمريكية لتأخذ بعين الاعتبار حاجات سورية ورغباتها التي تجاهلتها باستمرار على مدى سنوات ريغن».

ولذلك، فإن ورطة صدام أدخلت نظرة جديدة في العلاقات الأمريكية - السورية. فكما أن الولايات المتحدة اعتبرت مشاركة سورية في الحرب ضد العراق تمنح الحرب الشرعية العربية، كذلك تأكد حافظ الأسد أن «الولايات المتحدة هي القوة الوحيدة التي بإمكانها الضغط على إسرائيل من أجل تحقيق حلّ عادل وشامل ودائم في المنطقة للصراع العربي - الإسرائيلي، وهو ما شجعه على الاستجابة للرغبة الأمريكية في تحقيق حلف دولي ضد العراق». ثم يختتم الكاتب القسم الأول من الكتاب بالقول إن

وهذا ما عرف بـ «وديعة رابين»، وأضحت الوديعة تعني الانسحاب إلى خط ٤ حزيران/يونيو، وعرفت بـ «ملف الجيب». ولكن خلال المفاوضات ظهرت مشكلتان في الوديعة:

الأولى، هل كانت الوديعة بالانسحاب الكامل من الجولان مشروطة كما أصرّ الإسرائيليون، أم تعهداً، كما أكد السوريون؟. يؤكد الكاتب «أن رابين قدم وديعته لكريستوفر بشكل مشروط، لكن كريستوفر نقل هذه الوديعة إلى الأسد على أنها تعهد ليس مشروطاً» (ص ٣٦٥).

والمشكلة الثانية هي: إلى أي حدود سوف يكون الانسحاب الكامل من الجولان، إذ إن هنالك أكثر من حدود للجولان: الحدود الدولية المرسومة من قبل الفرنسيين والإنكليز عام ١٩٢٣ التي لم يكن الأسد يعترف بها، كما يؤكد الكاتب، لأنه جرى فرضها على الأمة العربية لتقسيمها وإضعافها، وحدود الهدنة عام ١٩٤٨ التي تغيّرت باستمرار بسبب الاختراقات الإسرائيلية في المناطق المعزولة من السلاح، وخط ٤ حزيران/يونيو ١٩٦٧. وحتى هذا الخط له مفهومان: **الأول** هو خط ثابت مرسوم على الأرض، والمفهوم **الآخر** هو خط متحرك يلمس مياه بحيرة طبرية على الساحل الشمالي للبحيرة، ويتراجع بارتفاع مستوى مياه البحيرة، ويتقدم بهبوط مستوى المياه لكي يستمر بملامسة المياه.

والانسحاب إلى خط ٤ حزيران/يونيو كان رجالاً من أربع أرجل الطاولة، حيث الأرجل الثلاث الأخرى هي: التطبيع،

مسيرة السلام بالنسبة إلى شامير لم تشكّل التزاماً جدياً بقدر ما كانت استجابة لمتطلبات العلاقة الإسرائيلية - الأمريكية، ولذلك فقد نسف شامير العملية السلمية برمتها عندما رفض المبدئين اللذين شكلاً أساساً لمؤتمر مدريد وعملية السلام، قائلاً إن قرار مجلس الأمن الرقم (٢٤٢) لا يشمل الجولان، وإن مبدأ المفاوضات يستند إلى معادلة «السلام مقابل السلام»، وليس مبدأ «السلام مقابل الأرض». وقد ذكر بيكر في مذكراته أن شامير أصبح عقبة أمام السلام، وكان من الضروري أن تزول هذه العقبة لتكمّل عملية السلام مسيرتها.

جاء الفرع عندما سقطت حكومة شامير في الانتخابات عام ١٩٩٢، واستلم رابين سدة الحكم. وفي تشرين الثاني/نوفمبر من العام نفسه، فاز كلينتون في الانتخابات الرئاسية، وتم تجديد رئاسة حافظ الأسد لولاية رابعة. وهكذا اكتمل الثلاثي الذي يريد السلام ويستطيع صنعه. وأصبح «السلام قاب قوسين أو أدنى»، وهو عنوان الفصل العاشر من الكتاب.

اختار رابين رابينوفيتش ذا الخبرة الواسعة في الشؤون السورية ليتّأسس الوفد الإسرائيلي للمفاوضات، وافتتح الجلسة الأولى بالاعتراف بأن إسرائيل تقبل قرار مجلس الأمن (٢٤٢) في كل أقسامه وشروطه كأساس لمبادرات السلام، وترى أنه ينطبق أيضاً على مفاوضات السلام مع سورية. تطورت الأحداث إيجابياً من الاعتراف بالقرار الرقم (٢٤٢) إلى الاستعداد الإسرائيلي للانسحاب في الجولان، ثم الانسحاب الكامل من الجولان،

أنه كان باستطاعته التوقيع، ولذلك قرّر الخوض في انتخابات مبكرة ومفاجئة للحصول على ثقة شعبية لمتابعة المسار السلمي. ولكنه خسر الانتخابات كالعادة. وتسلم نتنياهو الحكم، وكان لا يريد السلام، ولا يستطيع التوقيع عليه. ولذلك رفض الالتزام بـ «الجيب»، وتراجع الى مبدأ «السلام مقابل السلام»، وساعدته الإدارة الأمريكية التي لم تضع أي ضغوط عليه للالتزام بتعهدات الحكومات الإسرائيلية السابقة التي اعتبرها كريستوفر أنها ليست ملزمة قانونياً.

ثم جاء الفصل الأخير بفوز باراك في الانتخابات عام ١٩٩٩. كان باراك كالمرأة نصف الحامل، يريد ولا يريد، ويستطيع ولا يستطيع. وفترة حكم باراك تخللتها جولتان: الأولى في مدينة شيرتزتاون في ولاية غرب فيرجينيا الأمريكية بحضور الشرع وباراك، والثانية والأخيرة في اللقاء بين الأسد وكلينتون في جنيف. ومع أن باراك أعلن أن «السبيل الوحيد لبناء سلام دائم وشامل في الشرق الأوسط هو عبر اتفاق مع سورية»، ولكن في جولة شيرتزتاون لم يكن مستعداً أو قادراً، كما قال للأمريكيين، على «الموافقة على الاتفاق الذي يتم التفاوض عليه حالياً»، في حين كان السوريون، كما أخبر أوري ساغي، كبير المفاوضين الإسرائيليين في عهد باراك، «يريدون بإخلاص التفاوض حول اتفاق عندما كانوا في بلير هاوس، وبعد ذلك في شيرتزتاون». أما جولة جنيف المشؤومة، فكانت مهية للفشل بسبب التحضير السيء. فالكل كان يعلم بأن الأسد لن يوافق على شريط أرض تفصله عن الشاطئ الشمالي الشرقي لبحيرة طبرية.

والترتيبات الأمنية، والمدة الزمنية للانسحاب. وإن هذه الأرجل الأربع هي رزمة متكاملة ومتزامنة. وكان هناك تطور خلال المفاوضات على جميع أرجل الطاولة خلال السنوات الثلاث التي حكم فيها رابين بين عامي ١٩٩٣ و١٩٩٥. ولكن المفاوضات، كما يقول الكاتب «راوحت بين البحث بصدق عن السلام، والنأي عنه خوفاً منه أو خشية من عواقبه، فالأسد ورابين كلاهما شكّاك وصلب... فالمقامرة كلمة لا وجود لها في قاموسيهما، ولذا غلب الحذر على الجراءة». ويتابع الكاتب القول إن الدور الأمريكي لم يخرج من إطار الرعاية، وأصبحت الرؤية الأمريكية تصنع عبر مشاوره الإسرائيليين، وغالباً ما يتم ازدراء أو تجاهل رأي العرب في ذلك» (ص ٤٤٩). هنالك الكثير من الصحة في ما يقوله الكاتب، ولكن في الحقيقة أن الطلقة التي أنهت حياة رابين لم تقض على أول فرصة حقيقية للعملية السلمية فحسب، وإنما غيرت مجرى الأمور إلى الأسوأ في النزاع العربي - الإسرائيلي.

بعد اغتيال رابين تنالت ثلاث إدارات في إسرائيل: بيريس ونتنياهو وباراك. أعلن بيريس عند توليه منصب رئاسة الوزراء أنه يحترم أي التزام أعطاه رابين، ولذلك فهو يلتزم بالانسحاب الكامل الى خط ٤ حزيران/يونيو تحت الشروط التي وضعها رابين. ومع أن الكثير من الباحثين والمراقبين يتساءلون عن سبب تردد الأسد في إضاعة فرصة ثانية للتوصل إلى اتفاق سلام مع بيريس، ولكن في الحقيقة كانت المشكلة تكمن في بيريس أكثر منها في الأسد، حيث أن بيريس أراد السلام. ولكن، هنالك شك في

مستقبل عملية السلام السورية - الإسرائيلية؟ يبدأ الكاتب في بداية الكتاب بتفاؤل مطلق عندما يقول إن مؤتمر مدريد كان إعلاناً لـ «إنهاء الصراع العربي - الإسرائيلي على صيغة الحرب، وبدء هذا الصراع على هيئة المفاوضات»، وينتهي في نهاية الكتاب بتشاؤم مطلق، حيث يقول إن «السلام بمعناه الشامل والعالل لم يعد له وجود». اذا انتهت العملية السلمية فعلاً، كما يؤكد د. زيادة، فما هو مصير الجولان المحتل منذ ٤٠ سنة؟ هل سيستمر كقسم أساسي من القضية الفلسطينية، لأنه دون تحريره لا حلّ سلمياً للقضية، أم سيصبح بمرور الزمن مجرد خلاف حدودي بين دولتين متجاورتين، والخلافات الحدودية بين الدول المتجاورة عديدة، ولا تجذب اهتمام المجتمع الدولي.

هنالك مبرر لتشاؤم د. زيادة في ما يتعلق بالمسار السوري - الإسرائيلي، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن سابقة اتفاقية كامب ديفيد التي أدت إلى انسحاب إسرائيلي كامل من الأراضي المصرية المحتلة كانت عاملاً في إصرار الأسد على انسحاب إسرائيلي من كامل الجولان، لأنه كان من الصعب القبول بأقل مما حصل عليه السادات. الآن أضيف سابقة جديدة، وهي وديعة رابين، حيث من الصعب أن تقبل القيادة السورية أي اتفاق سلام مع إسرائيل تحصل فيها سورية على أقل مما حصل عليه السادات، وأقل من وديعة رابين، وهي الانسحاب إلى حدود ٤ حزيران/يونيو، إضافة إلى الشك بصحة المقولة الكيسنجيرية بأنه لا حرب عربية - إسرائيلية دون مصر، ولا سلام عربي - إسرائيلي دون سورية، حيث إن دول الطوق

وجاء كلينتون بورقة باراك التي تبعد السوريين مئات الأمطار عن شاطئ البحيرة، وباراك يعلم بأن الأسد لن يوافق على ذلك، وقد حصل مسبقاً على وديعة رابين التي تلتزم بالانسحاب إلى خط ٤ حزيران/يونيو. ومن غير الإنصاف القول، كما يؤكد روس في كتابه، إن الأسد جاء إلى جنيف لكي لا يوقع، بينما يؤكد د. زيادة «أن الأسد كان جاداً تماماً في الوصول إلى اتفاق سلام»، بينما كان باراك غير راغب في الوصول إلى اتفاق، وهكذا فقد أضاع باراك فرصة سلام حقيقية، ربما لن تتكرر.

في القسم الثالث من الكتاب يبحث الكاتب التطورات العربية بعد وفاة حافظ الأسد وتولي ابنه د. بشار سدة الرئاسة، ثم وصول إدارة أمريكية جديدة برئاسة جورج بوش الابن التي لا تعترف بإرث عملية السلام السابقة وتفضل الابتعاد عن مشكلات الشرق الأوسط، كما يؤكد الكاتب. وما زاد الطين بلة فوز آرييل شارون في الانتخابات الإسرائيلية، الرجل البعيد كل البعد عن عملية السلام.

والخلاصة، هي أنه كان هنالك ثلاث فرص لتحقيق سلام سوري - إسرائيلي، ولكنها فشلت. ومن الظلم تحميل سورية والعرب مسؤولية الفشل، كما اتهم بيريس العرب بأنهم لا يفوتون فرصة ليفوتوا فرصة لصنع السلام. جميع الأطراف المفاوضة تتحمل مسؤولية الفشل، وإنما بنسب متفاوتة، وهذا ما جرى في الفرص الثلاث الضائعة في المفاوضات السورية - الإسرائيلية.

وفي النهاية، ماذا يقول د. زيادة عن

وبشكل خاص السورية - الإسرائيلية. لقد كتب الكثير عن عملية السلام العربية - الإسرائيلية، ومعظمها باللغة الإنكليزية، والقليل منها بالعربية، ولكن السلام الداني هو أهم وأوسع كتاب كتب بقلم مفكر سوري، يعرض وجهات النظر المتعددة، ولكنه يعرض وجهة النظر السورية بتعاطف □

عملت سلامها مع إسرائيل، أو سوف تعمله، عند أول فرصة تتاح لها بغض النظر عن مستقبل الجولان.

أخيراً، وكما ذكرت في المقدمة، إن هذا الكتاب موسوعة يجب أن يكون في مكتبة كل من يهتم بشؤون الشرق الأوسط والعلاقات العربية - الإسرائيلية ومفاوضات السلام،

صدر حديثاً

الحوار القومي - الإسلامي

بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها
مركز دراسات الوحدة العربية
بالتعاون مع المعهد السويدي بالإسكندرية
ندوة

بالتعاون الفكري، بين مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت)، والمعهد السويدي (الإسكندرية)، انعقدت ندوة الحوار القومي - الإسلامي في نهاية العام ٢٠٠٧، في الإسكندرية، وهي التي جاءت استكمالاً لندوة «الحوار القومي - الديني» (١٩٨٩)، فسجلت الندوة الحديثة استئناف الحوار بين التيارين القومي والإسلامي، مع ما استجد من قضايا خلال الثمانية عشر عاماً الفاصلة بين الندوتين.

لقد ضم هذا الكتاب الوقائع الكاملة للندوة، مشتملاً البحوث والتعقيبات والمناقشات، التي انتظمت في أربعة أقسام رئيسية: (١) تشكل الجماعة السياسية ومفهوم المواطنة (المواطنة والجامعة السياسية، الجماعات الدينية والقومية)، (٢) النظم السياسية والاقتصادية في العالم الخارجي (العولمة، العالم المحيط)، (٣) أسس إدارة المجتمع (الديمقراطية، المسألة الاجتماعية والاقتصادية، المرأة)، (٤) الشريعة والجهاد بين المفهوم والممارسة (تطبيق الشريعة الإسلامية، الجهاد والمقاومة، التطرف الديني والقومية..).



٧٣٦ صفحة

الثلث: ٢٠ دولاراً
أو ما يعادلها